الخطاب الديني المعتدل
ودوره في استقرار المجتمع العراقي

م.د.خمائل شاكر الجمالي (*)
dr.khamael_sh@yahoo.com

الملخص

يعدّ الخطاب الديني الطريق القويم في هداية الناس والقيمة الأبرز في تأثير النفوس ، إذ قال تعالى: ((ومن احسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً)). وينبغي أن يكون الخطاب الديني خطاباً متجدداً غير تقليدي ؛ اي الخطاب ذو التأثير الإيجابي على المجتمع البشري وهو الذي يستفاد منه جميع افراد الأمة الصاغين لتلك الخطابات والمتأثرين بها والسامعين لها بغية الحصول على التغير الاجتماعي المطلوب التي تسعى إليه كل أمة وتود تحقيقه ، إذ أن الركيزة الأساسية التي يستند عليها الخطاب الديني هي انطلاقه من رؤية فكرية تستند عليها أراء وافكار الخطيب ؛ إذ أن الخطاب قيمة علمية يجب أن يبنى على فهم عميق ونظرة موضوعية.

الكلمات المفتاحية : الخطاب الديني ، المعتدل ، استقرار .

(*) مركز احياء التراث العلمي العربي–جامعة بغداد.

MODERATE RELIGIOUS DISCOURSE AND ITS ROLE IN THE STABILITY OF IRAQI SOCIETY

M. Dr. Khamael Shakir Al - Jamali
Center for the revival of Arab scientific heritage / University of Baghdad

ABSTRACT

The religious discourse is the right path in guiding people and the most important value in the influence of souls. Allaah says (interpretation of the meaning): Religious discourse should be a refreshing, non-traditional discourse; that is, a discourse that has a positive impact on human society and that is used by all members of the nation who formulate, influence and listen to those speeches in order to obtain the desired social change that every nation seeks and wishes to achieve. On which the religious discourse is based is the emergence of an intellectual vision based on the opinions and ideas of Khatib; the discourse is a scientific value that must be built on a deep understanding and objective perspective.

Keywords: Religious discourse, moderate, stability.

المقدمة :

يعدّ الخطاب الديني الطريق القويم في هداية الناس والقيمة الأبرز في تأثير النفوس ، قال تعالى: ((ومن احسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً)) ؛ اي لأقول احسن من القول الصالح وقول الحق. وينبغي أن يكون الخطاب الديني خطاباً متجدداً غير تقليدي ؛ اي الخطاب ذو التأثير الإيجابي على المجتمع البشري وهو الذي يستفاد منه جميع افراد الأمة الصاغين لتلك الخطابات والمتأثرين بها والسامعين لها بغية الحصول على التغير الاجتماعي المطلوب التي تسعى إليه كل أمة وتود تحقيقه ، إذ أن الركيزة الأساسية التي يستند عليها الخطاب الديني هي انطلاقه من رؤية فكرية تستند عليها أراء وافكار الخطيب ؛ إذ أن الخطاب قيمة علمية يجب أن يبنى على فهم عميق ونظرة موضوعية.

إذ يعدّ الخطاب الديني المعتدل أفضل الاعمال ؛ فهو الدعامة الرئيسة لتبليغ الناس دين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ، فهو يؤدي رسالة لها مضامينها واهميتها في الدعوة الإسلامية ، ولكن بعض المسلمين اليوم قد تخلوا عن هذه الدعامة التي بها حفظ حياتهم ، وعزّ دينهم ، واستقرار مجتمعاتهم ، فصاروا فيه على طرفي نقيض بين متعصب متطرف ومتساهل مُفّرط وكلا الفريقين جانبوا الصواب وحادوا عن طريق الحق الذي عليه أهل الاعتدال والوسط ، لذا يسعى الخطاب الديني المعتدل تحقيق الاستقرار في المجتمعات [٥] فهو دعوة إلى الوعظ والنصح والارشاد ، ونشر القيم الصالحة والناقلة للمجتمع ، وواعظ لكل غافل وتعليم كل جاهل، والدعوة الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال والسير وفق سلوك المنهج الديني المعتدل الذي هو الأساس في الدعوة إلى استقرار المجتمعات بصورة عامة ، والمجتمع العراقي بصورة خاصة.

فالخطاب الديني من المسائل الهامة التي وجدتْ إقبالاً واسعاً ، وعُنيت عناية خاصة من قبل العلماء والمثقفين والباحثين ، فهو ليس وليد الساعة كما يظن البعض بل أنَّه قديم متجدد يولد في كل زمن ولادة تنسجم ومتطلبات الزمان والمكان الذي هو فيه ، لذا فالخطاب الديني بشكله العام يتسم بالتنضيد ، والتنسيق ، والانسجام ، ويمتد حضوره ويستمد طاقته من النصوص القرآنية المقدسة ، والسنة النبوية الشريفة .

وعن طريق ذلك أن الغاية من تناولنا موضوع هذا البحث هو معرفة الدور الكبير للخطاب الديني المعتدل ودوره في استقرار المجتمع العراقي ؛ كون الدين هو من اكبر الدعائم البشرية الداعمة للإصلاح والاستقرار، فهو قانون رباني قائم على الوحدة البشرية والعدالة الاجتماعية والابتعاد عن كل الفوارق الطبقية وتحقيق مجتمع متسامي قائم على الاستقرار ، والوحدة والاصلاح نحو الأفضل في كل عصر من العصور. لكن تحتاج هذه العملية الطريق الصحيح بما يتفق مع دعائم الإسلام عن طريق الأمانة التي يحملها اصحابه والتي تحتاج إلى الصدق والعدالة في الممارسة والابتعاد عن كل ما يعيق دور الدين وطريقه في الاستقرار؛ فأن استقرار الأمة هو من ثبات الدين وصدقه ، وهذا ما يسمو إليه

الخطاب الديني المعتدل الذي يدعو إلى استقرار المجتمع العراقي ، والوصول إلى مجتمع يسوده الأمن والأمان.

المحور الأول : التعريف ببعض مفردات البحث

يهدف البحث الحالي إلى معرفة (الخطاب الديني المعتدل ودوره في استقرار المجتمع العراقي) وتمهيداً لكتابة الأفكار التي جمعتها الباحثة عن طريق الكتب والمصادر والدراسات والبحوث التي تناولت موضوع الخطاب الديني المعتدل ، والذي هو أساس موضوع البحث ؛ لابدّ من تعريف بعض المصطلحات ذات الصلة بعنوان البحث لغةً واصطلاحاً .

١- الخطاب

- لغةً : مأخوذ من خطب يخطب خطباً والخَطْبُ : الشأنُ ، والأمْرُ صَغُرَ أو عظُم ، وخَطَّبَ الخاطِبُ على المِنْبَرِ خَطَابَةً، بالفتح ، وخُطْبَةً بالضِم ، وذلك الكلامُ : خُطْبَةٌ أيضاً ، أو هي الكلامُ المَنْثُورُ المُسَجَّعُ ونحوهُ . ورجلُ خطيبُ : حَسَنُ الخُطْبَة [١] ، أي تكلم كلاماً يسمى " خطبة" [١] والخطاب : يعني الكلام بين اثنين [٢]

- اصطلاحاً : كلام موجه من طرف إلى آخر يتضمن معنى المشاركة والحوار بين المرسل والمرسل إليه ، كما يتضمن معنى الافهام [٣]

٢- الاعتدال

- لغة : وهو خلاف الجَوْر، يقال عدل في أمره عدلاً ، من باب ضرب[٤]

- اصطلاحاً : هو التزام المنهج القويم والحق المبين الذي هو وسط بين الافراط والتفريط والتشدد والتساهل . [٥]

مفهوم الخطاب الديني

يشير مفهوم الخطاب الديني إلى الكلام الذي يستند لمرجعية إسلامية من أصول القرآن والسنة ، أو القواعد الإسلامية المعتبرة الأخرى ، سواء أكان من يتبنى الخطاب جماعةً إسلامية ، أم مؤسسة دعوية رسمية أو أهلية ، أم أفراد متفرقون ، جمعتهم مرجعيتهم الإسلامية ؛ من أجل إدارة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يحبونها ؛

لذلك فهو يسعى إلى نشر دين الله عقيدة وشريعة وأخلاقاً ، ومعاملات وبذل الوسع في ذلك ، لتعليم الناس ما ينفعهم في الدارين وبذل أقصى الجهد والطاقة من أجل خدمة هذا الدين الحنيف وامتثالا لأمر الله تعالى وامر رسوله(صلى الله عليه واله وسلم) ؛ لذلك يبدو دور الخطاب الديني في تشريع العبادات ظاهراً واضحاً باعتداله عن طريق تلكم التشريعات ، فالمتأمل فيها جيداً يستطيع القول بأنه لا يوجد تشريع سماوي سبق التشريع الإسلامي واتسم بما اتسم به من الاعتدال مع اتباعه (٦)

أذن تجد الباحثة جملة أمور في الغاية من الخطاب الديني هي :

١- يبتغي الخطاب الديني الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى .

٢- الغاية وضرورة العلم اللازم مما هو مهم ومعلوم في تبليغ الناس ما هو يهم المجتمع ويعمل على استقراره دينياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً.

٣- استعمال الأسلوب الأمثل في الحكمة والموعظة الحسنة ؛ وذلك عن طريق أسلوب يهدف إلى مخاطبة المتلقين بطريقة النصح والإرشاد والحكمة والموعظة الهادفة والبارزة في هداية المخاطبين ونصحهم وموعظتهم وإرشادهم .

٤- نجد في الخطاب الديني سمة الرغبة الكبيرة في الصبر و تحمل المشاكل والمتاعب ؛ من أجل إيصال فكرة معينة تهدف إلى إصلاح المجتمع واستقراره .

٥- الرحمة في التعامل مع الناس ، وايضاً القدوة الحسنة والتي هي أبلغ صور التبليغ ، ينبغي أن يكون من سمات الخطاب الديني الرحمة في التعامل ؛ وذلك يستمد قواعده من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، واتباع منهج القدوة الصالحة من الأولياء والصالحين من أجل هداية الناس .

المحور الثاني : خصائص الخطاب الديني المعتدل

لابدّ أن يتميز الخطاب الديني بخصائص وهي كما يأتي :

١- يجب أن يكون الخطاب الديني سليماً وصحيحاً ، ويكون الهدف منه غاية الجميع اي استيعاب الرؤى والحقائق المتعالية التي عن طريقها يتسامى المجتمع البشري ، وتعلوا

قيمته الأخلاقية القائمة على العدل والمساواة عن طريق ما يؤديه الخطاب الديني والعاملين به اي الإعلام الديني.[٧]

٢- يجب أن يتميز الخطاب الديني بالعالمية والشمولية ؛ لأن رسالته جاءت للناس جميعاً فهو ليس لفرد بعينه ، أو أمة بعينها بل هو للناس جميعاً ، كما أن منهجه شمولي ومتكامل.[٨]

٣- أن يساهم الخطاب الديني في تهدئة الأزمات التي تعرض ويتعرض لها المجتمع بصورة مستمرة وبالذات في هذه الفترة التي بدأ المجتمع ينهار بسببها والتي تمثلت بالأزمات الطائفية والعرقية وغيرها ، وبعكس ذلك إذا أدى الخطاب الديني المعتدل دوراً سلبياً في أدائه فأنه يخلق حالة من التوتر والقلق النفسي لدى أفراد المجتمع تحقيقاً لما يصبو إليه أعداؤه[٩]

٤- يجب أن يهدف الخطاب الديني إلى العمل والعقيدة والحب والاحترام والاهتمام والاعمار ؛ فهو ليس رسالة لاهوتية تنحصر في المساجد فحسب ؛ بل هو رسالة شاملة للحياة كلها دينياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وتربوياً ، فهو دقيق في كل تفاصيل الحياة من حيث (المنهج والزمان والمكان والإنسان) ، فهو يمزج بين أمور الدين والحياة ليتماشى ذلك مع الواقع الحياتي للناس أراده الله سبحانه وتعالى أن يفي بحاجات الناس وينظم لهم حياتهم على وفق القواعد الكلية والأصول العامة ، أما الجزئيات والدقائق فقد تركها لاجتهادات الناس حسب حاجات عصرهم [١٠]

٥- يجب أيضاً على الخطاب الديني اشعار الفرد بممارسة حرية رأيه اي الحوار المفتوح للأفراد إذ أن انعدام الحوار وغلق الأبواب أمام الفرد وعدم التعبير عن الرأي يؤدي إلى شعور الفرد بالكتمان والكبت والقمع مما يؤدي إلى التنفيس عن همومه في أجواء مغلقة خلف ابواب موصده ، إذ أن حرية الرأي والتعبير والحوار يؤدي إلى تخفيف حدة التوتر وإرساء أسس الانسجام والوئام بين الشعوب المعمرة والبلدان الإسلامية تمهيداً لسبل الارتقاء نحو مجتمع افضل وحضارة ارقى [١١]

٦- أن يهتم الخطاب الديني بنهضة الإنسان العلمية والثقافية ؛ لأنها تعيد للإسلام شبابه وازدهاره ، فيرى المسلمون فيها طريق العز والمجد ، والكرامة ؛ فالثقافة الدينية هي النواة لاستقرار المجتمعات والأمة ، وإن أي انحراف فيها يؤدي لفساد المجتمع وهلاكه ، وذلك لأن نهضة الإسلام عاملة شاملة ، والخطاب الديني المعتدل عماد هذه النهضة وأداة فعالة من أدواتها ، وكانت هذه النهضة دينية في روحها وأساسها ، وقد أضاء ظلماتها الخطاب المعتدل وبدد غياهب الجهالة فيها ، وأدى رسالته الأولى في إصلاح المجتمع البشري، وتحقيق أسباب السعادة والاستقرار له في حياته ، وقد بيّن كل ما به من صلاح أمور البشرية في العقيدة والتشريع والمعاملات والاجتماع والأخلاق والفكر والحكم والسياسة ، ولم يدع مجتمعاً إلا حض عليه ، وأقام من شأنه ، وطلب فيه من القول ما هو ضروري له ، كخطبة الجمعة والعيدين وموقف عرفات وغيرها ، ولذلك كان صاحب هذه الدعوة يمثل الإمام الهادي ، والفيلسوف المشرع ، والحاكم العادل ، والزعيم السياسي ، والقائد الحربي ، والمصلح الاجتماعي ، والرائد الفكري [١٢]

من هذه الخصائص التي يتميز بها الخطاب الديني المعتدل نستنتج أنه خطاباً سليماً وصحيحاً الهدف منه غاية الجميع في تعلم القيم الأخلاقية القائمة على العدل والمساواة بين أبناء المجتمع ؛ لأنه رسالة عامة وشمولية جاءت إلى الناس جميعاً وليس إلى فرد ، وذلك للحد من تهدئة الأزمات والصعوبات التي تفتك بالمجتمع العراقي من التطرف والطائفية، والتي تؤدي لحالة سلبية بالمجتمع ؛ إذ ما تصدى لها الخطاب الديني في خصائصه ؛ لأنه يهدف إلى الحب والعقيدة والعمل والاحترام دينياً وسياسياً ، فهو يمزج بين أمور الدين والحياة عند ذلك يشعر الفرد بممارسة الحرية والتعبير الذي يحدّ من التوتر حتى لا تؤدي بالفرد في المجتمع إلى توتره مما يخلق حالة من عدم الاستقرار في المجتمع العراقي ؛ بل بالعكس فالخطاب الديني المعتدل بخصائصه يخلق جو من الوئام والانسجام التي تؤدي إلى بناء نهضة الفرد علمياً وثقافياً وتربوياً واجتماعياً واقتصادياً ، وازدهار شبابه واستغلال ثقافتهم لأنهم نواة المجتمع واستقراره .

المحور الثالث : اخلاقيات الخطاب الديني

هناك اخلاقيات لابدّ أن تراعى في الخطاب الديني وتكون أساس له وجوهره ، وقاعدة يستند عليها من أجل وصوله وانتشاره ، وايضاً مخاطبة مشاعر المتلقين والتأثير في نفوسهم ، وهدايتهم بما يخدم الواقع الديني والسياسي و بما ينفع الاستقرار في المجتمع ؛ وبالتالي عن طريق ما يتحلى به الخطاب الديني من اخلاقيات نصل إلى الهدف المنشود من استقرار مجتمعي ومن هذه الاخلاقيات هي :

١- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

إن الإسلام بالرغم من أنه دعوة للناس جميعاً إلا أن سنن الله تعالى وقوانينه في الكون ثابتة لن تتبدل ، لذا يبقى الخلاف والاختلاف والتمايز في الدين قائماً بين البشر ، فلن يجتمع الناس على دين واحد ، وملة واحدة إلا أن يشاء الله تعالى ، ومن ثمة فليس هناك ما يدعو الإنسان أن يُكره أخاه على الدخول في دينه ، ومن يحب النجاة لأخيه ويتمنى أن يقاسمه نعيم الجنة فأولى له أن يسلك لهدايته طريق الحكمة والموعظة الحسنة لا طريق الحرب والسيف والعنف والاكراه[١٣]؛ لأن الحكمة إن اقترنت بالدعوة فإنها تقوي الأمل واليقين، وترتفع بالناس إلى مستوى الشعور بالمسؤولية والتكليف ، فمتى ما تأكد في الناس هذا الشعور فسوف تتغير طباعهم وتعتدل مسالكهم ويسلم توجيههم تجاه هذا الدين الحنيف ، فحق على الداعي إلى أن يعمل على إيقاظ هذا الشعور في المدعوين [١٤]

٢- نبذ التطرف والعنف

التطرف ظاهرة مرّضية تسود فئات معينة وسط النسيج الاجتماعي في المجتمع ككل تهدد أمنه واستقراره وافراده إذا ما أطلق العنان لمثل تلك الأفكار من غير كبح جماحها بالخطاب الديني المعتدل ولاسيما عند الشباب ، لذلك فالتطرف حقيقة واقعية نلمسُ تأثيرها في مجتمعاتنا المعاصرة ، فهو بأشكاله المختلفة لم يأت جزافاً بل له أسبابه ودواعيه ، كما أنّ له مخاطر تؤثر سلباً على الأفراد والجماعات والمجتمعات ، لذا فإن معرفة أسباب التطرف

وجذوره وعلاقته بالنواحي الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية تعدّ في غاية الأهمية؛ لتحديد نوع العلاج المناسب والتعامل معه كظاهرة تفرض نفسها في المجتمع المعاصر .

لابدّ للخطاب الديني أن يتجه إلى المتلقين لنبذ كل أنواع التطرف والعنف ؛ لبناء مزيد من الثقة بالإسلام وقيمه ، ومبادئه ، وترسيخ قيم الانتماء إليه باعتباره نعمة تفضل الله بها على عباده المؤمنين ، فهو يتجه نحو الهداية لا التضليل ، ونحو الرحمة لا القتل والتكفير ، ولهذا كان الصدق أساساً في الخطاب الديني ، كي يتحقق له أسباب السلامة وعوامل الثقة بها ، ومن يتتبع خطب النبي ((صلى الله عليه واله وسلم)) يدرك ذلك ، فقد كان حريصاً أشد الحرص على ما فيه مصلحة البشرية وهدايتهم ، ليس هذا في خطب الرسول فحسب ، بل و فيما روي عنه من الأحاديث النبوية الشريفة ، وهذا الحرص يتفق مع هدي القرآن الكريم ويسير في ظله ، فالخطيب الراشد لا يكتفي بالحرص على المخاطبين فقط ، بل لابد من الرحمة بهم تأسياَ بالرسول (صلى الله عليه واله وسلم) فالله (سجانه وتعالى) أعلم بما أودع في قلب رسوله (صلى الله عليه واله وسلم) من حسن الخلق والرحمة) [١٥] ؛ ليكون مسموعاً ومطاعاً يقول الله تعالى :((لقد جاءكم رسولُ من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريصُ عليكم بالمؤمنين رءوفُ رحيمُ [١٦]

٣- معتدل في المنهج والأسلوب

إن الخطاب المنشود يجب أن يكون معتدلاً في المنهج والأسلوب في كل مراحله وجوانبه ، إلا ما يتعلق بالثوابت والأسس التي جاءت بها النصوص المحكمة ، فالاعتدال في الخطاب الديني حق وخيرُ وعدلُ ، تعود منافعه ونتائجه الايجابية على الناس جميعاً ، مهما اختلفت أعراقهم والوانهم ومشاربهم ومعتقداتهم ، وهي في الوقت نفسه مطلبُ شرعيّ أصيلُ، ومظهرُ حضاري رفيعُ ، تتوازن فيه أمور الخلق ، ويتساوون في كثير من الحقوق والواجبات .

وإذا ما تصف الخطاب الديني لدى ما ينشره بهذه الميزة (أعني اعتداله) فسيكون هناك التزامُ من الجميع بما ينتفعون به في حياتهم الدنيوية والأخروية ، فلا نكاد نجد تقصيراً في

الواجبات ، ولا إهدارٍ للحقوق ، ولا تباطؤاً في الأداء ، وستخلو الحياة في كثيرٍ من مفاصلها من الظلم والتظالم ، وسُتمحى من بين أفراد المجتمع كثيرُ من المشاكل التي تؤدي إلى التناحر والتباغض والتنافس غير الشريف [١٧]

٤- يراعي الشريعة الإسلامية في احكامه

فالخطاب الديني الذي تتبناه الشريعة الإسلامية يجب أن يكون مراعياً لسلم الأوليات في إصدار أحكامه وفتاواه .

ونجد في أقوال الفقهاء ، وآراءهم ؛ إن ترتيب الأوليات في الفتاوى والأحكام التعبدية ، إنما هو سنة تشريعية ، وحكمة إلهية ، تترتب عليها كثيرُ من النتائج الايجابية على واقع المجتمع الإسلامي ، بل على مجموع الخلق في هذا العالم الفسيح .

فقد استند الفقهاء قواعدهم الفقهية على هذا الأساس ، مع مراعاة أن يقفوا عند الثوابت والركائز التي لا يمكن تغييرها ؛ فاحتكموا إليها وإلى القواعد التي بنيت على ترتيب الأوليات في الرجوع إلى الاحكام المستمدة من الشريعة الإسلامية [١٨]

هذا وقد تساعد أخلاقيات الخطاب الديني في خلق شخصية الخطيب بما يدعو إليه من خير وصلاح في وحدة واستقرار المجتمع ، وايضاً يساهم في وضع أسس بناء المجتمع عن طريق خطابه الذي يهدف إليه من قيم ومبادئ واخلاق فاضلة ودعوة إلى الحكمة والموعظة الحسنة في وعظ ابناء المجتمع ونبذ التطرف والتصدي إلى كل حالات التطرف والعنف التي تفكك وتمزق وحدة نسيج المجتمع بكل دياناته وأطيافه وقومياته ، والاعتدال في الخطاب من حيث المنهج والأسلوب وفي كل جوانبه من خير وعدل ومساواه وصلاح ، والتي تعود نتائجه علة استقرار المجتمع ، كما وأن يستمد الخطيب احكام خطبته من الشريعة الإسلامية والدين الإسلامي كل من أقوال وفتاوى وقوانين إلهية وحكم ومواعظ كل هذ الاخلاقيات إذا وجدت في شخصية الخطيب وفي خطابه أدى بنا إلى استقرار مجتمعنا واستقرار وحدته وامنه وأمانه .

المحور الرابع : دور الاعلام في الخطاب الديني واستقرار المجتمع

إن وسائل الإعلام سلاح ذو حدين ، أن استعملت في جانبها الإيجابي حلت الطمأنينة والأمان والسلام ، وإن استعملت في جوانبها السلبية حلت المصائب والويلات وحل الهلاك على المجتمعات . لذا فالإعلام دور كبير ومؤثر في الخطاب الديني ، وتربطهما علاقة مهمة جداً إذ أن الإعلام هو الأداة التي تسوق الكلام وتنشره ، عن طريق دوره الكبير في نشر وإظهار الخطاب الديني وقياس اهميته وتأثيراته السياسية والاجتماعية وكيفية تعاطيه مع الواقع الاجتماعي والسياسي عن طريق دور الإعلام في صناعة السلام وتعزيز فرص انضاج الحلول في مجتمعات منقسمة، إذ أن مبادرة طرح موضوع الخطاب الديني ودرس تأثيراته وفاعليته عن طريق وسائل الإعلام ودوره في معرفة كيفية استعمال الخطاب وفنية توظيفه لخدمة اهداف سياسية أو طائفية بعيداً عن المعنى الروحي والبعد الإنساني لمضامين الخطاب[١٩]

لذا فقد أدرك الكثير من المتطرفين في الغرب حقيقة توظيف الإعلام وما فيها من المكاسب ، لذلك فقد سيطروا على الصحافة والإعلام وأخذوا ينشرون ما يوافق أهوائهم ورغباتهم ، فهم المتحكمون في المسار الصحفي الإعلامي ، وهم يعلمون علم اليقين بأنّ السيطرة على الإعلام تعني السيطرة على العالم والتلاعب به ، واستعماله كوسيلة من وسائل الحرب ونشر الذعر بين صفوف المسلمين وغير ذلك من الأمور وقد تحقق لهم ذلك الأمر، إذ أن الكثير من وسائل الإعلام اليوم تبع للغرب ؛ فأغلب تلك الوسائل تتجاهل قضايا المسلمين المصيرية وتركز على سفاسف الأمور، حتى شاع الانقسام والفرقة بين المسلمين ، كما أنه أوقظ العنصرية من مرقدها ، وقد أصبحت تلك الوسائل ناطقة باسم الباطل وهاجساً له [٢٠] ؛ لذلك أن بعض المؤسسات الإعلامية في بلادنا ولاسيما العراق يقع على عاتقها مسؤولية كبيرة في أنتشار التطرف كونها تدعو عن طريق منصاتها لخطاب الكراهية وهذا يدل على عدم التزامها بالمسؤولية الرئيسة وعدم المهنية في العمل ، وهذا عائد إلى كلام عدم كفاءة ومهنية الإدارات المتسيدة للمشهد الإعلامي ، إذ أن دور

الإعلام يجب أن يكون بنشر المؤسسات الإعلامية إذ أن لخطابها الاعلامي يناهض السلم المجتمعي ، لذا يشترط سيادة الخطاب الديني المعتدل للمساهمة في الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فهو عامل مهم لوقف الاحتراب ولاسيما بين القوى السياسية المتناحرة (٢١)

لذلك تجد الباحثة أنه لا يمكن للخطاب الديني أن يُحقِّق مقاصده ، ولا أن يَبْلُغ هدفه بلا إعلام يُركِّز على الثوابت فيه ويركز على محاسن الدين ويدعم محاور الاتفاق ويَنْتَقِي حاملي الرسالة من الأتقياء. إذ أن للإعلام الوطني دور كبير في التصدِّي للإرهاب واستقرار المجتمعات ، علمًا بأنه لا يمكن ان يختلف أي اثنان في أنّ للإعلام وسيلة مزدوجةُ الاستعمال ؛ فقد تكون وسيلةَ بناءٍ وارتقاءٍ بالأوطان، وقد تكون وسيلة هدم وتفتيت للشعوب وللقيم، وكونها كذلك فهذا يدعو لمراجعة كل ما يصدر عن هذه الوسائل ومَن يتحدثون فيها، ويلقون الخطب الدينية او غيرها حيث للإعلام دور كبير في التشويه والرياء او البناء والتعمير.

ولهذا يجب أن يكون الإعلام وسيلة لنقل الافكار المعتدلة المستمدة من دين الإسلام المتسامح وسنة نبيه نبي الرحمة البعيدة عن التطرف والعنف والقتل والإرهاب والاهداف الهادمة لمجتمعنا إذ مرَّت على بلدنا حالةٍ من استغلال المنابر لترويج فكرٍ أو لمصلحة جماعة ؛ لذلك فقد أصاب مجتمعنا نتيجة لتلك الأفكار المتطرفة موجة من الويلات المتشتتة التي جرتّ على ديننا ومجتمعنا وأدت به إلى حرب طائفية ومذهبية بعيدة كل البعد عن ديننا المعتدل ؛ وعلى غرار ذلك كان للإعلام دور كبير ومؤثر في نشر ثقافة الاعتدال والتعايش السلمي عن طريق الخطاب الديني المعتدل ؛ لأنه ينقل الصورة الحقيقة والواعية للمجتمع . ولأن المجتمع يسقى ثوابته وأصوله من التركيز على قيم الإسلام السمحة وغرس الانتماء والمشتركات الإنسانية التي تجمع أبناء الوطن الواحد التي ينقلها له الإعلام في الخطاب الديني عن طريق الصورة الحقيقية والواعية التي ينقلها للمجتمع والتي يتخذها جميع افراده ويسيرون على غرارها.

لذا أننا نحتاج دعم المؤسسات الدينية على جميع المستويات ، وبخاصة من وسائل الإعلام، والوقوف صفًّا واحدًا خلف مساجدنا ومنابرنا ومتابعتها ، ومتابعة خطبها وما تروج إليه من أفكار ومراقبتها ؛ وملاحظة دور إعلام الخطاب الديني المعتدل للقواعد والأسس الدينية السمحة والداعية كل الأفراد الالتزام بها والابتعاد عن نقل الصورة الغير حقيقية للمجتمع العراقي .

المحور الخامس: دور الخطاب الديني المعتدل في استقرار المجتمع العراقي

مما لاشك فيه ، فأن سطوة مشاعر الحقد والكراهية والتطرف التي تتولد بين الناس في مختلف طبقاتهم ، تعدّ من الآفات التي تفتك بجسد المجتمع ، وعلى الرغم من عدم إنكار وجود الاختلاف والتناقض في المصالح والمنافع والمزاحمة على المراكز السياسية والاجتماعية بين الناس ، إلا أن الغلو والتطرف في ذلك سوف يكون عاملاً لقطع كل علاقة قائمة بين أفراد المجتمع ، وهنا يأتي دور الخطاب الديني المعتدل لما له من نفوذ قوي وتأثير قوي وفعال في تهذيب الاخلاق وتلطيف الامزجة الحادة والطباع الغليظة وفي إحلال أمن المجتمع واستقراره في بيئة مليئة ب الأحقاد والمشاكل ، كون الخطاب الديني المعتدل من أقوى الأساليب في تقريب الناس بعضهم من بعض عن طريق دوره في تسوية الاختلافات والمشاكل القائمة بين الخصوم والمتنافرين بسبب تباين المصالح والمنافع [٢٢]

يعدّ الدين أحد وأهم عوامل الاستقرار في المجتمعات وهو من العوامل الرئيسة في تكوين الحضارات ، إذ لا توجد دعوة دينية إلا وكان لها اتباع يؤمنون بها ويتبعون قواعدها الصالحة والمعمرة وأن غاية واثر الدين الصحيح هي إصلاح القوم الذين خوطبوا به ، ومشوا بطريقة على اسس مهمة في البناء والاكتمال للمجتمع ومن هذه الأسس هي العدالة وهي أساس البناء واعمار الأرض وتغيير جميع بنى المجتمع عن طريق القواعد الصالحة التي يسير عليها الخطاب الديني وأسسه المعتدلة الفاعلة في بناء وتغيير المجتمع عن طريق تغيير عقول افراده واخفاء الضلالة عنهم وتبصيرهم بكل ما يؤمن لهم السلام والعدالة المجتمعية

كي يحتضنوا مجتمعاتهم ويعملوا على القضاء على كل ما يؤدي الى دمارها فكرياً واجتماعياً ودينياً [٢٣]

إن الاعتدال الديني هو ضرورة مجتمعية ، لاسيما في المجتمعات المتأزمة مثل المجتمع العراقي ؛ لأنه مجتمع متعدد الأديان والثقافات والتوجهات السياسية ، وهو من أهم العوامل التي تعقد الوضع الامني والمجتمعي وتؤدي بالفرد إلى أن ينسلخ من مجتمعه نحو الانزواء إلى هويته الفرعية دون الوطنية ، وبالتالي فالخطاب الديني من شأنه يعمل على صهر الانتماءات الفرعية في بوتقة واحدة يكون الولاء الأول فيها للوطن وليس للقبيلة أو الحزب أو الطائفة ... الخ

وإن الوصول إلى خطاب ديني معتدل في المجتمع العراقي ، فهو العلاج والحل الناجع للوصول إلى بيئة أمنة ومجتمع مستقر ، فسمو الخطاب الديني المعتدل لا يخفى على أحد ما للمنابر الدينية من تأثير واضح على المجتمع الذي تعمل فيه سلباً أو إيجاباً ، إن ما يميز الخطاب الديني هو ارتباطه بمعتقدات الإنسان والقيمة الفكرية التي تنسج سلوكه ، وبالتالي يمكن للخطيب ورجل الدين إعادة تشكيل وتصحيح أو انحراف أفكار الإنسان المتدين وهنا تكمن الخطورة ، وهذا جوهر المشكلة في العراق [٢٤]

استنتجت الباحثة إن الخطاب الديني الفعال هو الخطاب الذي يمكن الإنسان عن طريقه تحقيق الأهداف التي خلق لأجلها القائمة على القوانين الربانية العادلة وعمارة الأرض، إذ أن الخطاب الديني المعتدل القائم على النصوص الشرعية والاستدلال الصحيح هو أفضل طريقة يمكن للأفراد والدول استعمالها لعلاج جميع الانحرافات التي تعاني منها المجتمعات اليوم سواء كانت هذه الانحرافات عقدية ام فكرية. إذ تعدّ هداية الناس للطريق القويم هي القيمة الأبرز في الخطاب الديني المعتدل ، وهو هدف ذو قيمة كبيرة يمر عبر دعوة الناس وتبليغهم وإرشادهم وينظم حياة الأفراد والجماعات بسنن وقوانين وقواعد اخلاق الدين السامية ، التي تركز على هداية الناس وحثهم لسلوك طريق الدعوة إلى الله تعالى عن طريق الخطاب الديني المعتدل ، وترغيبهم في ذلك ، وكشف زيف الخطابات المتطرفة التي أودت

بالأمة وشبابها في هاوية القتل والتكفير ؛ لذا على المسلم أن يبذل غاية جهده ليتحقق مراد الله عن طريق خطاب ديني معتدل لتبصير الناس ، لذا تعمل كل المجتمعات لتغيير واقعها المعاش من حيث توفر الفرصة المناسبة لتحقيق الاستقرار الذي يقودها إلى الأفضل مما كانت عليه سابقاً ولتحقيق ذلك الاستقرار؛ لابدّ من توفر ووجود الحوافز والأسباب التي تدعوا له وتعمل جاهدة على تحقيقه مهما كانت الظروف والنتائج ، وهنا يأتي توظيف الخطاب الديني المعتدل الذي يعمل جاهداً للحد من نبذ التطرف والكراهية لأنه صمام الأمن والأمان للمجتمع ويسهم بدوره في استقرار مجتمعنا العراقي .

الخاتمة

إننا بحاجة إلى خطة واعية وشاملة في تعزيز استقرار المجتمع والرؤية بكل ما هو جديد ، في تطوير الخطاب الديني المعتدل الذي يهدف إلى تعزيز روح التضامن والتعايش بين أبناء المجتمع واستقراره ، إذ أن جميع الدول المتحضرة ينصب اهتمامها وتحشد مواردها البشرية والمادية باتجاه تحقيق استقراره الذي يعدّ سر تحقيق التنمية والتقدم الاقتصادي والاجتماعي ، وذلك لما للاستقرار المجتمع من تأثيرات مباشرة وغير مباشرة على كافة جوانب الحياة للمجتمع ، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بخطاب ديني معتدل يهدف إلى الوصول إلى مرحلة من الاستقرار والأمن الدائم والشامل والمستمر وهو ما نسميه بالمجتمع المستقر ، وهو نقيض المجتمع القلق وهو ما نعيشه ونلمسه في العراق في هذه المرحلة التاريخية .

وعليه فأن من بين اهم المتطلبات الأساسية في تحقيق الاستقرار في كل مجتمع يتطلب توافر مجموعة من الآليات وسياقات العمل وتوفير بيئة اجتماعية متناسبة ، وقبل هذا وذاك لابدّ من تحديد الإمكانات والمتطلبات اللازمة من خطاب ديني معتدل يعمل ويهدف على استقرار المجتمع العراقي بمفهومه وخصائصه وأخلاقه وإعلامه ودوره ، وفي تجنيد كل أهدافه ومبادئه وقيمه من أجل ذلك .

الهوامش

(١) الفيروز آبادي . القاموس المحيط ، المطبعة الأميرية ، ط٣، ببولاق ، القاهرة ، ١٣٠٢ ه ، ١/ ٦٣. ص ١٠٣ .

(٢) ابن منظور . لسان العرب ، دار صادر ، ط١، بيروت ، ١٣٧٥ ه ، ١/ ٣٦١ .

(٣) د. احمد شكري الصبيحي. مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي– مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٦٧ .

(٤) أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم البصري الفراهيدي (ت١٧٠ه) . العين ، تحقيق : مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، دار مكتبة جلال ، ٢/ ٣٩ .

(٥) ابن زرق المالقي المالكي . بدائع السلك في طبائع الملك . تحقيق : علي سامي النشار ، وزارة الإعلام ، ط١ ، العراق ، د.ت ، ص ٢٤٢ .

(٦) محمد مرعي محمد . توظيف الوسائل التكنولوجية المعاصرة في تطوير الخطاب الإسلامي ، مؤتمر اتحاد علماء المسلمين : مجلة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ، العدد سمات الخطاب الإسلامي ، ٢٠١١، ص ١٧٦ .

(٧) د. حسام الدين الألوسي. حوار الفلاسفة المتكلمين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢ ، ص ١٣٢ .

(٨) أبي مجاهد عبد العزيز المدني . المستشرقون في الميزان ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط٧ ، ١٩٧٤ ، ص ١٥٦ .

(٩) الألوسي ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(١٠) المدني ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

(١١) الألوسي ، المصدر السابق ، ص١٣٣ .

(١٢) عبد العاطي محمد شلبي . الخطابة الإسلامية المكتب الجامعي الحديث ، (د. ن) ، ٢٠٠٦ ، ص ٣١ .

(١٣) سيد بن حسين بن عبد الله العفاني . أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع ، ط١، جدة – السعودية ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٢١ .

(١٤) د. صالح بن عبد الله بن حميد . مفهوم الحكمة في الدعوة ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ط١، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٢ه ، ص ٤ .

(١٥) سعيد بن علي ثابت . الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٧ ه ، ص ٩٠– ٩١.

(١٦) التوبة : آية ١٢٨ .

(١٧) أبو محمد عز الدين . الدمشقي . مراجعة وتعليق : طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د.ت) ، ص ٢٣٣ .

(١٨) الدمشقي ، المصد السابق ، ص٢٣٣.

(١٩) عبد الجبار حميد الصالح . الإعلام السيء وأثره في شبابنا المسلم ، بحث منشور في مجلة الدراسات العربية (دورية علمية محكمة) ، جامعة المنيا ، كلية دار العلوم ، جامعة المنيا ، ع ٣٥ ، مج ٦ ، ٢٠١٧ ، ص ٨٤ .

(٢٠) نبراس النائلي . دور الخطاب الديني في تحقيق التغير الاجتماعي ، مقال منشور على شبكة النبأ المعلوماتية .
https://annabaa.org/arabic/studies/11878

(٢١) نبراس احمد . دور الإعلام في تعزيز السلم الاهلي ، ندوة للنقابة الوطنية للصحفيين ، موقع النقابة الوطنية للصحفيين العراقيين ، ٢٠ حزيران ، ٢٠١٦ ، ص٦٦.

(٢٢) ازهار جشي عواضة . المواعظ والحكم . دار الحق للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٥ .
(٢٣) النائلي . annabaa.org/arabic/studies/11878
(٢٤) مهدي جابر مهدي . إشكالية تعثر الديمقراطية في العراق بعد عام ٢٠٠٣ ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد (٤٠٥) ، السنة ٣٥ ، ، بيروت ، ٢٠١٢ ص ١٥٠ .